مطرانية ملوى وانصنا والأشمونين



الجنس مقدساً

كتيب للشباب

COPTIC KINDLE BOOKS
كتب قبطية للكيندل

بقلم
نيافة الأنبا بيمن
أسقف ملوى

الجنس مقدسًا

الأنبا بيمن
أسقف ملوي

التحويل لكتاب الكتروني:

[Coptic kindle books]



مقدمة الكتاب

يعالج هذا الكتاب قضية هامة تواجه الشباب وخاصة في هذا العصر.. إنه يطرح قضية الجنس من منظار مسيحي، يقدمها بأسلوب تتكامل فيه الجوانب الروحية مع البيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية...فهذه النظرة الشمولية هي ما يحتاجه الشاب الآن في مواجهه قضاياه المعاصرة... والكتاب يبدأ رحلة الحياة منذ بداية تكوين الأسرة، ويقدم مفهوم الأسرة من خلال الإنجيل المعاش، ثم تمتد الدراسة لتقدم بداية الحياة الجسدية كثمرة من ثمار الحب العائلي... وإذ إن المعالجة جريئة لتوضيح ما يخشى الوالدان في خجل غير سليم أن يقولوه لأولادهم، إلا إن الدراسة تثري المعرفة ولكن دون إثارة أو تحرر أو استباحة. وبعد أن يمر الكتاب سريعًا على الإنجاب وبداية الحياة يوضح معالم الدافع الجنسي عند الإنسان... يشرحه إنسانيًا ومسيحيًا... فيتعرض لسمو هذا الدافع الإنساني وارتباطه صميميًّا بالحب الصادق والنزعة إلي الشركة وذوبان الفردية. وأما الانحرافات التي قد يتعرض لها تيار هذه الغريزة فقد قدمت في إيجاز وتحذير دون إرهاب ديني. ولما كانت حياة الطهارة والعفة ونقاوة القلب هي الطريق الوحيد للحياة الجنسية كما أرادها الله في النموذج الذي خلق في الجنة، وفي تعاليمه المباركة بعد تجسده ووجوده بيننا كإنسان مثلنا في كل شيء فيما عدا الخطية وحدها.. ولما كانت هذه الحياة هي الهدف والوسيلة معًا المعاناة والخلاص من العزلة معًا فإن الكتاب يفرد لها فصلًا مستقلًا. ليسمح الله أن يقدس شبابنا من كل دنس الجسد والروح ليعيشوا حسب الروح وليس حسب الجسد. للثالوث القدوس المجد والإكرام. أمين.

أولًا: الزواج والأسرة

لماذا خلق الله ذكرًا وأنثى؟

لعلك عندما قرأت هذه الكلمات في الإصحاح الأول من سفر التكوين " فخلق الله الإنسان على صورة الله. على صورته خلقه، ذكرًا وأنثى خلقهم" (أية ٢٧)، سألت نفسك، لماذا خلق الله الإنسان هكذا ذكرًا وأنثى؟ ولكن ما أن تتابع قراءتك في الإصحاح الثاني حتى تجد الإجابة.. إن أدم كان في الجنة وحيدًا، لم تسعده الألفة مع الحيوانات أو كافة المخلوقات المادية التي خلقها الله له.. ويعبر الكتاب عن هذا بالقول "ليس جيدًا أن يوجد آدم وحده" (تك٢: ١٨) " وأما لنفسه لم يجد معينًا نظيرًا".. "فأوقع الرب الإله سباتًا على آدم فنام، فأخذ واحدًا من أضلاعه، وملأ مكانها لحمًا، وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة واحضرها إلى آدم. فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمى... هذه تدعى امرأة لأنها من امرء آخذت.. لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا" (تك٢: ٢٠-٢٥). فيتضح إذن القصد الإلهي إن الأنوثة تصنع شركة ووحدة مع الذكورة.. وفى هذا التكامل تصبح الحياة بهيجة، إذ يرى الرجل في آمراته ما لا يجده في نفسه فلا تكون البشرية نسخة واحدة متكررة من آدم، بل يكون هناك الرجل وتكون هناك المرأة... إن ادم شعر بفائدة خلقة حواء له، وأنها توافقه كل الموافقة، وهو يتوافق معها كل الاتساق والموافقة. ولاحظ إن بعض ما ينقصه كان موجود في رفيقته حواء، وبعض ما ينقصها هي قد أحرزه في كيانه، فقد قسم الله بينهما مواهبه... وهكذا يكمل الواحد الآخر، وفى وحدتهما تجتمع ثروة بشرية كاملة ومنسجمة.. وتقسيم المواهب الإلهية على كليهما هي إحدى معجزات خلق الإنسان، فجسم الرجل يختلف عن جسم المرأة في تركيبه وبعض أعضائه، ولهذا يقبل الرجل عموما على الأعمال الخشنة التي تحتاج إلى مجهود عضلي كالبناء والنجارة والحدادة والأشغال المتعبة في الخارج، بينما المرآة يتفق تكوينها عموما مع المهام المنزلية ورعاية الأطفال والعناية بالشئون الشخصية الفردية – وأن كان عصرنا هذا قد غير الكثير من هذه النواميس الطبيعية... وهكذا إذ يجتمع الحنو مع الشدة، والبأس مع الرقة يحدث الانسجام المذهل في الحياة البشرية... وهكذا تصبح الحياة أيضا جميلة عندما يلتقي الرجل والمرأة على صعيد الحب والحياة الزوجية، إذ يتبادلان التشجيعات وبذل الذات، ويتحابان ويرتبطان بسر الزيجة المقدس، لتكون حياتهما مملكة مقدسة للرب على الأرض.

ملكوت الله في الأسرة المقدسة

لعللك حضرت عرسا، وشاهدت صلاة الإكليل في الكنيسة. إن الصلوات التي تسمعها كلها تشير إلى إن الأسرة في قصد الله تعنى كنيسة صغيرة وطريقا إلى الملكوت.. لهذا يضع الكاهن على رأسي العروسين الأكاليل... لان الإكليل هو إشارة إلى الملك. فأكاليل الزواج تشير إلى بداية تأسيس مملكة صغيرة هي عربون الملكوت السماوي الأبدي. وإذا كنت ترى بعض المسيحيين حاليا قد أفرغوا الأسرة من هذا المضمون، وصارت حياتهم العالمية دنيوية خالية من الحضور الإلهي وليست ساعية إلى الملكوت، فان هذه هي الخطيئة التي تشابه الخيانة الزوجية... ما أسمى نظرة كنيستنا إلى سر الزيجة.. أنها تعتبره حياة مقدسة، وصلواته صلوات روحانية يحل فيها الرب يسوع بروحه القدوس مع ملائكته وقديسيه وعلى رأسهم العذراء مريم الذين شاركوا جميعًا في عرس قانا الجليل... أنهم يشرفون ليشاركوا أعضاء الكنيسة أفراحهم ومشاعرهم ويعطى الرب بنفسه وبروحة القدوس بركة قانا الجليل للعروسين. ما أرق هذا!! وما أقدسه!! وما أبعده عن المفهوم الدنيوي السائد في هذا العالم تجاه هذا السر!! وما أروع طقس الكنيسة في ليتورجية الزواج عندما تختتم صلواتها بالتقديس على هذا الحب الذي جمع العروسين. إنها تقرا كلمات بولس الرسول الذي يشبه العلاقة بين الزوجيين بعلاقة المسيح بالكنيسة... ثم هي تؤكد إن الذي ألف القلبين هو الروح القدس نفسه الذي يشبه العازف الذي يصنع من الأوتار المختلفة نغما ملائكيا ولحنا سمائيًّا وسيمفونية إلهية.. هذا هو موضوع اللحن الذي يرتله الشمامسة بعد الإنجيل "هؤلاء الذين الفهم الروح القدس معا مثل قيثارة يسبحون الله كل حين بمزامير وتسابيح وتماجيد روحية النهار والليل بقلب لا يسكت " ثم تصلى أيضًا كي يبارك الرب مضجعهما "اطلع على عبيدك.. ثبِّت اتصالاهما. احرس مضجعهما نقيا. استرهما مع بيتهما بيمينك... احفظهما بامتزاج واحد وسلام. هب لهما فرحا وسرورا ليظهروا لك يا الله الحي ثمرة الحياة من البطن".

الحب الزيجي

لعلك شاهدت يومًا منظرًا انطبع بعمق في ذاكرتك عندما رأيت زوجين حديثي الزواج وقد انفردا معًا في جلسة هادئة أو نزهة لطيفة... أو آخرين قد مضى على زواجهم سنينًا طويلة وأحدهم يؤنس الآخر ويلاطفه في ضيقة يمر بها.. بل وأحيانًا يجلسان معًا في هدوء وصمت ولكن سر الحب يشع من قلبيهما لأن زمان الكلام قد انتهى وبقي لهيب الحب الإلهي الزوجي سعيرًا ملتهبًا لم تستطع أحداث الحياة وهموم الدنيا وتحديات الأيام أن تجعله يخبو أو تنطفئ جذوته.. إن الحب الطاهر بين الرجل والمرأة لهو سر من الأسرار العجيبة التي خلقها الله في حياة الإنسان. إنه سعادة للإنسان ودفء له وسط ثلوج الحياة المتراكمة.. إنها متعته وسط هموم الدنيا وأتعابها.. كيف يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدًا واحدًا..؟!

إنه معنى عميق فيه الالتقاء والانتقاء والشركة. لقد انتقاها وأحبها والتزم بها. وصنع معها وحدة زيجية تفيض حبًا وفرحًا... لهذا قال الكتاب إن الله خلق الإنسان على صورته ومثاله، فمع أن الله ليس ثلاثة أشخاص منفصلة، ولكنه ثلاثة أقانيم متحدة في جوهر واحد، ومن خلال هذه الشركة يحيا الأب مع الكلمة الابن والروح القدس في ألفة المحبة الإلهية التي تعلو على كل إدراك وقياس. هكذا الإنسان مخلوق على نفس الصورة فعندما يشب الطفل ويجد أباه وأمه واحدًا في الروح والفكر والقلب والاهتمام يدرك شيئًا عن محبة الله ويفهم شيئًا من قصد الله في تكوين الأسرة.

إن الطفل لا ينمو بلبن الرضاعة فقط بل بحليب الحنان والحب... لا يشبعه ما يدخل جوفه من خلال فمه فقط بل ينتعش أكثر من خلال قبلات والديه وابتساماتهم وصدرهم المملوء حنانًا وحبًا وفرحًا بوجوده... نعم، في الأسرة يقتني الطفل اختباراته الأولى في الحياة، إنها خبرة الحب العظيم والتفاني الدائم.. وهذه هي الهدية العظيمة التي ينعم بها الله على الأطفال، كما إن الأطفال أنفسهم هم هدية الله للوالدين، لأنه فيهم يلتقي القلبان وتتحد الأفئدة والأرواح وتدعم الشركة والوحدة ويلتهب الحب بالنار التي ألقاها الرب على الأرض وأرادها أن تضرم. هيا بنا لتلمس في داخلك أثر هذا الحب الزيجي الذي غرسه الله في قلب كل إنسان...

+ قد لا تشعر في هذا السن الذي أنت فيه بإحساس خاص تجاه شخص من الجنس الأخر إما لنظرتك الطاهرة في التعامل مع الجميع منهم، وقوة إرادتك في عدم الاستهواء لأحد، أو لعدم تواجد الفرص للتعامل معهم... لا تنزعج لهذا... إنه شيء طيب.. ولكني أريد أن أقول للبعض الذي بدأ يحس بتعلق عاطفي، إن هذا الذي نبت في داخله ليس هو الثمرة الناضجة التي ينبغي أكلها وذلك لأسباب ينبغي أن نطرحها للبحث والمناقشة بوضوح..

إننا نسأل هذا الفتى أو تلك الفتاة: ما هي المقاييس التي بنيت عليها إعجابك بالشخص الآخر؟! إنها غالبًا ما تكون مقاييس سطحية ليست هي التي على أساسها يختار الشخص الناضج شريك حياته.. ما أدراك بطباع تلك الفتاة ذات الملامح

الجميلة؟! وماذا تعرفين عن ذاك الفتي ذو الجسد المتناسق والوجه الوسيم؟! بل أريد أن أقول أكثر من هذا، إنه حتى لو كان إعجابك بالشخصية تجاوز حد السمات الجسمية والعاطفية وكان إعجابًا عميقًا، فأنت لا تعرف إن كان سيظل هذا الإعجاب قويًا ومستمرًا مع مرور الزمن وتغير الظروف والأحوال الخارجية والداخلية حتى يأتي سن الزواج الذي يتأخر بتعقد الحياة والظروف الاقتصادية والاجتماعية والعلمية المتلاحقة.
ثم أنت تتغير داخليًا حسبما يؤكد رجال علم النفس، فلكل مرحلة نمو سيكولوجيتها وسماتها، فما كنت تختاره من ملابس في المرحلة الثانوية ترفض أن ترتديه وأنت على أعتاب نهاية المرحلة الجامعية، فما يروق لك اليوم ينمو ويتطور ويتعدل، خاصة إذا كان النمو النفسي والروحي طبيعيًا لا انحراف فيه.. إنها مرحلة لابد أن تنمو فيها مفاهيمك ومقاييس إعجابك بالأمور. فهل من الحكمة أن ترتبط منذ الآن بشخص لمدة سنوات طويلة لا تعلم ماذا سيصادفك فيها من خبرات وتحديات؟! بل وحتى إن افترضنا ثباتك على رأيك طوال السنوات الطويلة القادمة فسوف يكون الوضع أسوأ. فماذا تتوقع أن يكون حال عواطفك خلال تلك الفترة؟! إنها مشاعر ولهانة، ولو افترضنا نموها، فإن هذا النمو سيكون نوعًا من الاحتراق الداخلي وتعذيب النفس، هذا على أحسن احتمالات، إذ من الممكن أن يقود هذا للزنى وممارسة العادات الجنسية المنحرفة. إذ حتى لو إحساسك بالآخر ظاهرة غير نجسة، فإنه من الأفضل للطرفين أن يكبحا جماح نفسيهما..
لا تبح سرك لأحد إلا لأب اعترافك كي يصلي من أجلك كي يرفع الرب عنك الحرب أو يمنحك الإرادة لتصبر حتى تنضج وتأتي الساعة المعينة من الرب لتحقيق شركة الحب الزيجي. فأحرص على ألا تختلي بالآخر ولا تلعب بعواطفه وتثيرها لئلا تعثره وتعثر نفسك أيضًا.
سلِّم هذه الطاقة المقدسة للرب وأستودعها في يد راعي الرعاة الأعظم الذي يدبر حياتك ويعرف الصالح ويمنحه في حينه الحسن.. إنه يفتح ولا أحد يغلق، ويغلق ولا أحد يفتح.. طوبى لمن آمَن وسلَّم حياته لمن بيده مفاتيح الحياة... لقد تسلم لنا من الآباء إن الحب الزوجي ليس نوعًا من الغراميات، إنه حب واقعي روحي ملتزم. وهو حي طاهر لا يتجه إلي الجسد وحده ليتلهى به ويلتذ، وإنما يلتقي بالأخر على مستوى الشخص كله بكيانه الروحي والنفسي والعاطفي والفكري والجسدي... وهو حب نامي يبدأ حارًا في الخطوبة السعيدة ولا تطفئه إحباطات الحياة ومصادمات الشركة واختلافات الطباع والأفكار. بل هو حب يتجاوز كل هذه الصعاب لأنه حب إلهي أمكن أن ينتهي، ما كان حبًا يومًا.. وهو حب عميق يجد في إتحاد الجسدين تعبيرًا عن الداخل. إنه لغة ووسيلة وصال... وإن تعذر اللقاء الجسدي لظروف طارئة في الحياة الزوجية كالسفر لبعثة أو المرض مدة، فإن هذا لا يهدد الوحدة لأن الحب ليس هو الجنس، بل إن الجنس هو تعبير عن الحب. إن هذا لا يهدد الوحدة الصادقة لأن "ما جمعه الله لا يفرقه إنسان"..

الثقة والوقار في الأسرة

وتحمل الحياة المسيحية طابع الثقة الكاملة، فالرجل يكرس حياته من أجل زوجته، والمرأة تقدس كيانها كله لأجل زوجها... فلا خيانة في نظرات شريرة، أو النطق بكلمات دنسة داخل أو خارج البيت، ولا علاقات مريبة ولا منادمات أو إعجاب في طياته بداية خيانة أو جرح أو شرخ للوحدة المقدسة التي أقامها الروح القدس في سر الزيجة المقدس.. فكما إن المسيح -له المجد- قدس ذاته لأجل كنيسته، هكذا الرجل لأجل أسرته، وكما إن الكنيسة عروس مكرسة لعريسها التي اشتراها بدمه الثمين على الصليب، هكذا المرأة تنظر إلي حياتها العائلية من هذا المنظار.

ويتسم البيت المسيحي بالوقار والحشمة، فهو يرفض الأغاني والتمثيليات الهابطة والنكات والألفاظ البذيئة.

* لهذا تجد الصلوات المرفوعة على المذبح العائلي..
* وتلحظ الأصوام والمطانيات وتلاوة المزامير..
* وتدوم مطالعة سير القديسين واختبارات الآباء الأوليين..
* وتعمل التماجيد للشهداء والنساك ويتشفع أهل البيت بصلواتهم ويتضرعون إلي الله ليرسل ملاكه ليحفظ البيت من كل شر وغم وحزن رديء..

هذه كلها تضفي على الأسرة مسحة روحية وطابعًا وقورًا يجعل البيت قلعة مضيئة وسط ضباب الحياة وأمواجها المضطربة ومبادئها المتصارعة والهدامة والمنحلة.

ولعلك تلحظ أيضًا طابع الحشمة عند الزوجين حتى داخل البيت نفسه الذي لا تعلو فيه الأصوات، ولا تحتد فيه المناقشات، وإنما يسوده الهدوء المقدس الذي يشجع على عمق العبادة وصفاء التفكير والدراسة والتحصيل... إنك عندما تخطو عتبة بيت مسيحي ملئ بالحب والقداسة والوقار تشعر يقينًا إنك في هيكل مقدس ومملكة للرب على الأرض في هذا العالم الهابط.

البتولية امتدادًا مقدسًا

* وإذا كان الحب الزيجي مباركًا إلي هذا الحد!
* وإذا كانت الحياة الزوجية الطاهرة شبه كنيسة مقدسة!
* وإذا كانت العلاقات الزوجية قد تقدست بعمل النعمة في السر المقدس وفاعلية الروح القدس!

فلماذا إذًا الرهبان والراهبات؟ ولماذا البتوليون الذين لا يتزوجون؟ الجسديون ينظرون إلي هؤلاء على إنهم شواذ أو غير طبيعيين، والبعض ينظر إليهم على إنهم خارجون عن خط الحياة العامة.. أو أنهم قد صدموا عاطفيًا أو نفسيًا أو اجتماعيا...

هؤلاء جميعًا مخطئين أسمع إشعياء النبي بروح النبوة يقول "ولا يقل الخصي ها أنا شجرة يابسة، لأنه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتي ويختارون ما يسرني ويتمسكون بعهدي، إني أعطيهم في بيتي وفي أسواري نصيبًا واسما أفضل من البنين والبنات أعطيهم أسمًا أبديًا لا ينقطع" (أش٣:٥٦، ٥).

لا نعجب أن نجد أناسًا امتلأت قلوبهم حبًا في المسيح فرفضوا أن ينشغلوا بآخر سواه... صار هو عريسهم الوحيد ودخلوا في خطبة مقدسة دائمة معه... عاشوا في هيام الحب الإلهي مفضلين إياه بالأحرى عن الحب الزيجي والحب العائلي والحب البشري بكافة صوره. كرسوا حياتهم لحفظ وصاياه ومناجاته الليل والنهار... يقول القديس أنطونيوس عن حياة البتولية "إنها الذبيحة الروحانية المقدسة وهي البشارة والحياة التي تظهر السرائر الخفية منذ الدهور والأجيال كلها" ويؤكد بولس الرسول كيف إن البتولية امتداد أفضل بقوله " غير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضي الرب، أما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضي امرأته.

إن بين الزوجة والعذراء فرقًا. غير المتزوجة تهتم فيما للرب لتكون مقدسة جسدًا وروحًا. أما المتزوجة فتهتم فيما للعالم كيف ترضي زوجها.. من زوج فحسنًا يفعل، ومن لا يزوج يفعل أحسن" (١كو٧: ٣٢-٣٤). ويلزمنا أن نعرف إن البتولية نعمة خاصة تعطى للمختارين والمجاهدين في لهفة الشوق إليها... إنها عطية مجانية وموهبة خاصة من الله.

وقد أشار الرب إلي حياة البتولية بقوله "يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات" (مت١٩: ١٢). فلا بتولية بدون حب... حب لله، وحب لجميع الناس.. يشبه البتول بالنحلة النشيطة بالداخل والخارج.. تحمل الرحيق، وتخدم الجميع، فهو لا يكف عن الصلاة ولا يهدأ عن تقديم رسالة الخدمة والحب للجميع. ونحن نعيش في عصر دنيوي مادي لا يكرم البتولية والتفرغ الكامل والتكريس للعبادة والخدمة.. إنه يفزع من رؤية الرهبان والراهبات والمكرسين والمكرسات لأنهم يمثلون أمامه تحديًا وتأنيبًا وتوبيخًا عن حياة مغمورة في بالوعة الحياة المادية.

وأمثال هؤلاء يطرحون سؤالًا: إذا تَبَتَّل جميع البشر أفلا تنقرض البشرية؟! هذا افتراض غير وارد في الواقع العملي، ومع ذلك فقد رد على السؤال المغبوط أوغسطين: إذا افترضنا إن جميع الناس سلكت طريق البتولية المقدس فلن يكون

هذا شرًا؛ لأنه إن انقرضت البشرية فخير لها أن تتوقف على أن تسير في الفساد...
ويقول إكليمنضس السكندري: إذا حدث هذا فسوف ينهي الرب الزمان ويدخل المختارون كنيسة الأبكار لأن التاريخ يكون قد حقق الهدف المرجو منه. يا ليت الكثيرين يسمعون الإنجيل قائلًا: " كل من ترك بيوتًا أو أخوة أو أخوات أو أبًا أو أمًا أو امرأة أو أولادًا أو حقولًا من أجل أسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية" (مت ١٩: ٢٩).
وأنت يا ابني إن سمعت النداء في قلبك لهذه الحياة فلا تطفئه بل صل من أجله ودع الروح يكشف لك عن مدى صدقه وعمقه وأصالته حتى لا يكون مجرد نزوة طارئة أو نزوة متأثرة بعلاقة راهب. ولكن ما أن تأكدت من سمو هذه الرغبة ودوافعها الإيجابية فعليك أن تنميها بزيادة العشرة مع الله ومحبته. اطرح أشواقك هذه أمام الله وقل له: "إن شئت خذني بالتمام لأكون لك ولتكن أنت وحدك أيضًا لي". لا تطلب بإصرار شكلًا معينًا لهذا التكريس لأنه في الوقت المناسب سوف يعطيك الرب سؤل قلبك وبالطريقة التي يختارها.
بل وحتى إن شاء لك الرب أن تتزوج سوف تشعر إنك لم تفقد أشواقك القديمة، بل تشعر إن يد الله عريسك الحقيقي ونبع فرحك الأبدي هي التي تقدم لك شريكة حياتك. وبهذا حتى لو تمتعت بمؤانسة بشرية إلا إنك تشعر في أعماقك بأن الله هو الذي يظلل حياتك الزوجية ويشبع كيانك الداخلي. إن هذا لن يؤثر تأثيرًا سيئًا على نظرتك للزواج بل يعطيها مسحة وصفاء ونقاءً قلبيًا.. وهكذا تستطيع أن تجاهد لتأخذ نصيبك من البتولية بالقدر الذي يناسب قامتك حتى تعبر غربة هذا العالم دون نجاسة أو دنس.

ثانيًا: الإنجاب وبداية الحياة

الإنجاب وبداية الحياة

لم يكن صعبًا أن يخلق الله الأولاد بالغين، ولكنه تمجد أسمه خلق الأسرة لتكون ملكوت الحب. وشاء أن يشرك الإنسان في الخليقة معه عندما ينجب طفلًا.. شاء أن يساعده الأب والأم على إعطاء الحياة للمولود الجديد – رغم عدم احتياجه لهذا – لذلك وضع في الرجل وفي المرأة قوة حية تجعلهما قادرين على إعطاء الحياة للأولاد، وسلم إليهما قبسًا من نور محبته، فكما إن الخليقة كلها ثمرة حبه الإلهي، كذلك أراد بتدبيره السامي أن يكون الطفل ثمرة حب الوالدين.

فالرجل يجتمع مع زوجته ويتحد الجسدان وتلتقي بذرتا الحياة الذكرية والأنثوية، ويكون هذا اللقاء بداية حياة جديدة يصنعها الله في رحم الأم، ذلك العش الدافئ حيث يأخذ الإنسان في النمو والحياة. وفي خلال التسعة أشهر للحمل يكبر الجنين تدريجيًا حتى تتكون جميع أعضائه. والفتى المهذب يحترم المرأة الحبلى لأنها تذكره أيضًا بكم تعبت أمه في حمله.

لهذا يقف لها ويعطيها مكانه في المواصلات العامة، ويسعى بقدر إمكانياته لراحة كل أم تحمل جنينًا في بطنها، ولقد دبر الله أن يتغذى الطفل من خلال دماء أمه... وهذا الدم يسري في عروقه من الموضع الذي نسميه (السرّة) navel، وسرته هذه تتصل بجهاز أمه الدموي بواسطة الحبل السري... فكل نبضة من قلب الأم تدفق دمًا في جنينها.

أيها الرب ربنا ما أعجب أسمك في الأرض كلها، وما أعجب تدبيرك في خِلقة الإنسان حيث تدبر للجنين عشًا في بطن أمه دفيئًا يرتاح فيه ويتغذى فيه من الداخل بقوة حيوية وينمو رويدًا رويدًا حتى يكتمل بعد تسعة أشهر، وآنذاك لا يعود يسعه عشه الداخلي ولا يستطيع هو أن يعيش فيه إذ يتحتم أن يخرج إلي الوجود بالولادة. والولادة لابد أن تكون بالأوجاع والألم. ولعلك قرأت هذا من الإصحاح الثالث في سفر التكوين كيف ورثت المرآة هذا بسبب الخطية الأصلية...

حقيقة إن الرب بفدائه خلصنا من سلطان الخطية وأعطانا الولادة الجديدة والحياة الأبدية ولكنه أبقى للبشرية الآثار الجسدية وانطباعاتها التي تنتهي بالموت إذ يقول الكتاب آخر عدو يبطل هو الموت.. فالمولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح. ولقد قال الرب لحواء في الفردوس عندما حدث العصيان "تكثيرًا أُكَثِّر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولادًا".

ولكن هذه الأوجاع قال عنها الرب إن المرآة تنساها عندما ترى المولود الجديد كما يقول الكتاب. لذلك تخاف المرأة وتحزن متى دنت ساعة ولادتها، لكنها متى ولدت طفلها لا تعود تذكر شدتها لعظم فرحها بولادة إنسان جديد في العالم (يو١٦:٢١).

وكلما نتأمل في أتعاب الأم في حملها وولادتها كم نصلي ضارعين أن يكافئ الرب أمهاتنا عم أتعابهن ببركات سماوية.. ويحق أن يقدم لهن كل إكرام وتبجيل متذكرين الوصية التي أوصانا بها الكتاب "أكرم أباك وأمك" لأن هذه أول وصية بوعد..

العرفان بجميل الأمهات

ولنذكر بعض المواقف فيها عرفان بجميل الأم:
* عندما تطلب منا شيئًا أو خدمة نسرع إلي الاستجابة بفرح ودون دمدمة.
* في عيد الأم نقدم لها هدية ولتكن متواضعة إذ كانت ظروفنا المالية محدودة فالمهم التعبير عن الشعور والعرفان بالجميل.
* في كل صلاة صباحية ومسائية نذكرها طالبين لها الصحة والسلام.
* عندما تكبر في السن لا نهملها بل نحرص على إرضائها في الحق ونعمل كل ما فيه إسعادها.. وكم نكون ناجحين في الحياة عندما تمنحنا صالح دعواتها وبركة محبتها ورضائها.

أما الذين حرموا من رؤية أمهاتهم لأنهن انتقلن عقب ولادة الطفل أو لمرض أو لحادثة، فالكنيسة لا تنساهن في صلواتها كل قداس، وترفع البخور عن كل الراقدين الذين تنيَّحوا في الإيمان. وهناك مناسبات عامة وأعياد كبيرة ترفع الكنيسة بخورًا عن كل الذين رحلوا إلي عالم البقاء. وإن كنت يا بني ممن حرموا حنان الأم فلا تحزن، فالكنيسة اليوم هي أمك، فتشدد وتقو وتشجع لكي تكبر ناجحًا؛ ويصبح لديك ما تقدمه لليتامى في مؤسسات إيوائهم خاصة بعد زواجك عندما تصحب زوجتك لتكون أمًا لهؤلاء المحتاجين حبًا وحنانًا. إن كل ما تقدمه يقبله الرب يسوع كأنه عمل معه شخصيًا.

ولا يكاد يولد الطفل حتى يتنفس تنفسًا جادًا، ويأخذ في الصراخ ليمرن قواه الحية كلها. أما الأم فهي تبتسم لأنها تدرك من خلال هذه الصرخات إن وليدها حي سليم البنية. وبعد أن تنظف الممرضة الطفل المولود من الدماء التي حوله وتقطع حبل المشيمة تسلمه لأمه لتغذيه باللبن وهو غذاء مثالي استودعه الله ثدي الأم لكي يرضع منها لكي ينمو به ويزداد وزنه.

ذخيرة الحياة

لقد عرفنا كيف ينشأ الطفل في بطن أمه ويقوده الرب إلي الحياة عن طريق الولادة، ولكن الله وضع في جسم المرأة ذخيرة من تلك البذور في العضو الذي نطلق عليه المبيض. وفي كل شهر تنفصل بويضة عن ذلك المبيض وتنتقل إلي الرحم، وطالما لم تجد حيوانًا منويًا يخصبها تندفع بويضة الشهر السابق إلي خارج جسم المرأة ويخرج معها قليل من الدم ذلك ما يحدث عند الفتيات للمرة الأولى ما بين السنة الثانية عشرة والثالثة عشرة من العمر وتسمى الدورة الشهرية ويتكرر هذا الحادث بطريقة منتظمة حتى سن الخمسين. ولكن إن وجد الحيوان المنوي الذي يخصب البويضة يحدث الحمل وتنقطع الدورة الشهرية، ويرى الأطباء أنه توجد أسباب أخرى غير الحمل تسبب انقطاع الدورة الشهرية أو تأخيرها أو غيابها كالأنيميا الحادة وبعض الأمراض العضوية أو نقص في إفراز الهرمونات التي تؤخر سن البلوغ والنضج الجنسي.

وتسمى هذه الدماء بالحيض أو الطمث، ومنذ العهد القديم كان يشار بالنجاسة إلي هذه الدماء، لهذا لم يكن مسموحًا لمن هي حائض أو في دماء طمثها أن تقترب من أي شيء مقدس سواء في تلك الدورة الشهرية أو خلال مدة معينة بعد الولادة (أربعون يومًا إذ كان المولود ذكرًا وثمانون يومًا إذ كانت أنثى).

ولعل هذا تذكيرًا من الله من خلال هذا الرمز بالخطيئة الأصلية التي كانت سببًا في هذه المتاعب التي تحيط بالأنثى في عملية الإنجاب. ولعله من المعزي للفتاة المؤمنة أن تجد القديسة العذراء مريم التي حبلت الرب يسوع بلا دنس خاضعة لهذا الناموس إذ بالرغم من طهارتها الكاملة وحلول الروح القدس عليها خضعت للوصية وفي اليوم الأربعين ذهبت لتقدم ذبيحة تطهيرها في الهيكل "لما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى" (لو٢: ٢٢-٢٤) إن الفتاة المؤمنة لم تعد دمائها نجسة لأنها نالت الولادة الجديدة، وتقديس الجسد بسري المعمودية والميرون فلا تظن الفتاة بعد عهد النعمة إنها نجسة أو إن أعضاء جسدها وإفرازاتها نجسة فتمتنع مثلًا عن الصلاة أو قراءة الكتاب المقدس. وإنما كل ما تطلبه منها قوانين الكنيسة أن تمتنع في هذه الفترة عن الأسرار الإلهية كما تمنع غير الصائم عن الاشتراك في المائدة المقدسة.. وفي حالة الضرورة القصوى كالتعرض للوفاة تعطى حلًا ولا تحرم من جسد الرب ودمه.

البذار الحية

أنت تعلم إنه لابد للإنجاب من أن يشترك فيه الرجل والمرأة معًا، لأن الله وهب الأب قوى حية مقدسة؛ إنها سر الحياة التي يقدمها الأب للأم ليساعدها على إنشاء حياة جديدة. هذا أيضًا كانت تعرفه العذراء القديسة مريم عند بشارة الملاك لها بولادة الرب يسوع، إذ أجابت الرب يسوع مستفسرة "كيف يكون لي هذا وأنا لست أعرف رجلًا" أي ليس لي زوج يساعدني على الحبل. فأجابها الملاك إن هذا المولود الوحيد الذي لا يأتي بدون زرع بشري إذ قال لها "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك، فلذلك أيضًا القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو١: ٣٥).

ففي الإنسان الطبيعي لا تتكون ثمرة جديدة ما لم يقع زرع الرجل الحي في جسم المرأة حيث البويضة تنتظر مجيئه إليها فهذا الزرع ما هو إلا خلايا حية صغيرة جدًا (السبرماثوزييد) Spermatosoid لا ترى بالعين المجردة لصغرها، وقد أودعها الله مع ذلك كل ما يرثه الإنسان من والديه من السمات التي تميزه عن غيره من الناس.. هذا سر عجيب من أسرار الخالق البديعة. ويحسن بنا أن نذكر هنا إن الله عندما صنع عهدًا مع إبرام قال له "هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. يختن منكم كل ذكر. فتختنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم.. ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم. فيكون عهدي في لحمكم عهدًا أبديًا، وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها إنه قد نكث عهدي" (تك١٧: ٩-١٤).

ولهذا حرص اليهود إلي يومنا هذا أن يختنوا كل طفل في اليوم الثامن. وقد خضع الرب يسوع لهذا الطقس واختتن في اليوم الثامن. ونحن نعيد له عيدًا يسمى عيد الختان بعد ثمانية أيام من عيد الميلاد وهو من الأعياد السيدية الصغرى.. وإذ كانت المعمودية قد حققت ما يرمز إليه الختان الجسدي بختانه القلب والولادة الجديدة إلا إن البعض لا يزال يجري للأطفال الذكور هذه العملية في طفولتهم لأهداف صحية وليست لأهداف دينية. ونشير أيضًا إلي إنه إن كان الختان مفيد صحيًا للذكر إلا إنه مضر تمامًا للأنثى. لذلك لم يأمر الله به في العهد القديم وكذلك حرمته القوانين الوضعية ويخطئ خطأ جسيمًا كل من يعمل ختانًا للأنثى.. وهذا وضع لا يُعرف إلا في بعض بلاد العالم غير المتقدمة حضاريًّا.

طور المراهقة

يحدث في طور المراهقة إنه في بعض الأحيان تفيض الخصيتان بما فيهما من السائل الحيوي، فتسعى الطبيعة لقذف ما هو فائض في خزائنها من غير أن يساعدها الفتى، وفي أغلب الأحيان يتم هذا القذف في الليل أثناء النوم على أثر أحلام يظنها الفتى شنيعة، ويخشى أن تكون خطيئة، والحقيقة إنه طالما كان طاهرًا في حواسه وحريصًا أثناء يقظته فإن الاحتلام الليلي يمثل ظاهرة طبيعية لا تستوجب القلق. فقط يحرص على الاغتسال ونظافة الأعضاء والجسد.

وعلى أي حال فمن الأهمية أن يتعود الفتى ألا يلمس أعضائه دون مبرر، وألا ينشغل بها، لأن الاهتمام الزائد يمكن أن يقود إلي متاعب كثيرة ممكن أن ترهق الذهن والجسد وتعطل النشاط الروحي وتفقد الإنسان صفاء الصورة الذهنية وروح الصلاة.

نقل الحياة

لقد رأينا كيف إن الله أودع الخلايا التناسلية القدرة على إنجاب الأطفال وعلى الأب أن ينقل خلاياه إلي داخل جسم الأم لينشأ الجنين هناك، وهذا الفعل الناقل للحياة يتم بالإتحاد الجسدي بين الزوجين تعبيرًا عن الحب المتبادل والالتزام والتعهد الذي التزما به في كنيسة الله أن ينجبا للكنيسة وللمجتمع أولادًا.. لا يلدانهم ولادة جسدية فقط بل يلدانهم أيضًا ولادة روحية بعد ذلك من حضن الكنيسة بفعل الروح القدس في سر المعمودية التي هي بالماء والروح.

وإذ نتأمل روحيًا في هذا الأمر نجد إن هذه الأعضاء التي قد تكون مسار سخرية من بعض الفتيان الغير روحيين أو مثارًا للشعور بالقباحة عند بعض الفتيات الغير مستنيرات.. إنما هي أعضاء مكرمة وأجهزة في غاية من الدقة أبدع الله خلقتها فلا يجب أن نخجل مما لم يخجل الله من خلقته.. وكلما نعمق التأمل في هذا العمل نمجد الله خالقنا الذي رضي أن يستخدم أولاده في إنجاب أعضاء أخر ويشاركونه العمل في امتداد كنيسة الله الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية.

وهذا الإنسان الجديد معروف عند الله من قبل تكوين العالم، وقد أعطى الله من محبته للوالدين أن يساهما معه في عملية الخلق، وأن يتمتعا بالأبوة والأمومة بكل ما فيهما من عواطف سامية ونبيلة.. هذا الأمر الذي لا يوجد عند الملائكة ولا عند الحيوانات أو الخليقة المادية أيضًا.. فالإنسان هو الكائن الوحيد الفريد الذي عندما خلقه الرب في الجنة سُر به للغاية ورأى إنه حسن جدًا، فالزواج أمر مقدس وهو تعهد يكرس العلاقة ويقدس حياة الشركة.

وفي سر الزواج يطلب الكاهن من الله أن يحرس الزوجين ويقدس مضجعهما ويبارك وحدتهما لينجبا بنين وبنات كغروس في الكرمة المقدسة التي هي كنيسة الله.. وترفض الكنيسة أي علاقة جنسية بين رجل وامرأة إلا من خلال الزواج. وتعتبر هذه العلاقة زنا نهى الرب عنه في وصاياه المكتوبة بإصبعه على جبل سيناء وأستلمها موسى النبي منذ أقدم العصور.. والزنا انحراف عن المجرى الحقيقي للدافع الجنسي الذي يهدف إلي حياة الشركة والزيجة القائمة على البذل والحب والنضج والالتزام. ونود أن نؤكد إن العلاقة الجنسية بين الأب والأم لا تهدف فقط إلي الإنجاب وحفظ النوع رغم أن الرب أمر بهذا عندما قال "أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على كل سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض" (تك١:٢٨)، ولكن الهدف الذي يميز الإنسان عن الحيوان في إقامة العلاقة بين الشريكين هو الوحدة ليحقق الإنسان الهدف المرجو من وجوده. من أجل هذا قيل "يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدًا واحدًا" (تك٢: ٢٤)، وكان هذا الهدف بعد خلقه حواء لأدم.. وإذا كان الإنجاب هو الهدف الرئيسي من الزواج لسمح الرب بفصم العلاقة الزوجية في حالة العقم.. إن الوحدة الروحية والنفسية والفكرية تجد في الإتحاد الجسدي تعبيرًا عنها وإفصاحًا عن مضمونها. إن الجسد دائمًا يريد أن يُعَبِّر عما يختلج من الداخل.

إن هذا الحب الزيجي يترجم في أن الواحد لا يريد أن يرضي ذاته بل يسعى بكل

طاقته لإرضاء الآخر، وليس له تسلط على جسده بل للآخر. لذلك يجب أن يتم الإتحاد الزوجي بين الرجل وامرأته في جو من الاحترام والحب المتبادل وفي مناخ احترام رغبة الآخر وإسعاده. وأما أنت أيها العزيز... وقد عرفت قيمة هذا الدافع الحيوي وكرامته فأحرص على أن تحافظ على قوة التناسل الذي فيك والحيوية التي تملأ كيانك ولا تسلمها للعبث والمجون ولا تتحدث عنها بطيش وتبذل.. ولكن تذكر قول الرسول بولس إلي تلميذه القديس تيموثاوس [أحفظ نفسك طاهرًا].

ثالثًا: الدافع الجنسي عند الإنسان

الدافع الجنسي عند الإنسان

قد تسأل:
ما معنى الغريزة الجنسية ؟
وهل هي كالغريزة عند الحيوانات؟
أم أن الإنسان يتميز بطابع خاص في غرائزه وبالأخص ما يتعلق بالنوع (الجنس)؟...
وكيف يحدث أي انحراف في مجرى هذه الغريزة وما مظاهر هذه الانحرافات؟

الدافع الجنسي: يفضل علم النفس أن يطلق على الغرائز لفظ الدوافع البيولوجية (الحيوية) biological وهذه الدوافع هي استعدادات فطرية جسمية نفسية ولها أهداف حيوية في حياة الكائن وتهدف نحو الأغراض التي خلقت من أجلها سواء شعر بها الكائن أو لم يشعر.. ولكل دافع انفعال خاص به فالدافع الجنسي انفعاله الشهوة، الخوف انفعاله الرغبة في الهروب... ولكي يكون هذا الحديث ملموسا بالنسبة لك أذكرك بما تفعله عندما تقابل في الطريق خطر يهدد حياتك. إنك تفر هربا بلا شك أنها غزيرة الخوف وقد ظهر انفعالها في داخلك وتحركت إنزيمات الأدرينالين adrenalin واثر على الرجلين اللتين سابقتا الريح. ما أروع محبة الله الذي خلق فينا هذه الأجهزة التي تعمل تلقائيا من أجل حمايتنا! أتتذكر انفعالك وأمامك مائدة شهية بعد جوع طويل؟! إنها غريزة الأكل الموضوعة فينا من أجل حفظ صحتنا.
هكذا الدافع الجنسي موجود في داخل الطفل منذ أيامه الأولى كبذرة صغيرة، فهو دافع فطري ولكنه يمر في مراحل حتى ينضج ويكون لنضجه علامات جسمية ونفسية واضحة في الإنسان. ومن صفات هذه الدوافع إنها نوعية خاصة بالأفراد الذين ينتمون إلي نوع واحد، وهي ثابتة لا تتغير وعامة لدى جميع الأفراد الذين لديهم الدافع، وغير قابلة للمحو والزوال. والدافع الجنسي يولد مع الإنسان فهو وراثي فطري ولكنه يمر في مراحل حتى ينضج ويكون لنضجه علامات جسمية ونفسية واضحة في الإنسان. وإذا لم تكتمل هذه الظواهر والعلامات يكون الإنسان ناقصًا وشاذًا ويحتاج لعلاج جسمي أو نفسي أو كليهما معًا.

الدوافع الحيوية

إن الدوافع الحيوية ومنها الجنس موجودة عند الحيوان كما هي في الإنسان أيضًا وتعتبر هذه الدوافع القوة الدافعة الوحيدة التي تفسر سلوك الحيوان وتصرفاته، لكنها في الإنسان ليست تختلف عنه في الحيوان، فهي في الإنسان ليست قواه السفلية لأن الإنسان لديه العقل والعواطف والإرادة، كما أن الإنسان يتفوق على الحيوان في نسمة الحياة الخالدة المستمدة من الله القدوس الذي أراد لنا أن نكون له أبناء وارثين معه في الملكوت. فالغريزة الجنسية من هذا المنطلق من أرقى الدوافع الحيوية الموجودة في السلوك الإنساني... وهي تعطيه الفرادة المتميزة عن الملائكة وعن الحيوانات كلها.. ولكي نفهم معنى "القوة السفلية للإنسان"، دعنا نلقي نظرة سريعة على المخ البشري.

نظرة تشريحية إلي المخ البشري:
إذا نظرنا نظرة تشريحية مبسطة إلي المخ البشري نجد فيه:
(١) جزء أعلى مسئول عن التصرفات الإرادية العاقلة وتسمى بالقشرة (cortex).
(٢) جزء أسفل يسيطر على التصرفات اللاإرادية والغريزية أي الدوافع البيولوجية البحتة.
وهذا الجزء يتكون من مجموعة المراكز العصبية في أسفل المخ ليتحكم في كافة الحركات العضوية اللاإرادية التي تحفظ للجسد كيانه وحياته كالتنفس وضربات القلب وحركة الأمعاء وإفرازات الغدد وغير ذلك.
أما القشرة فتسيطر على هذه المراكز العصبية التي بأسفل المخ وتتحكم في الكثير من الأفعال اللاإرادية كالأمثلة التي سنوردها وإن كان بعضها لا يخضع لها إلا في حدود ضيقة لكي لا تكون حياة الإنسان رهن إرادته كعمل القلب والتنفس.

الفارق بين مخ الإنسان والحيوان في السيطرة على الأفعال اللاإرادية والغرائز

إن القشرة في الإنسان كبيرة جدًا نسبيًا وتملأ الجزء الأكبر من فراغ الجمجمة، أما في الحيوان فهي صغيرة جدًا حتى في أعلى درجات الحيوانات (الشمبانزي وإنسان نياندرثال Neanderthal) الذي يلي الإنسان في درجة الرقي. ولذلك يمتاز الإنسان عن الحيوان في قدرته على التحكم في الكثير من حركاته اللاإرادية وكذلك في السيطرة على دوافعه الجسدية.

كيف يسيطر الإنسان على بعض الأفعال اللاإرادية وعلى الغرائز؟
سنضرب لك أمثلة ثلاثة:

1-) يتم عند امتلاء المثانة بالبول ويتحكم فيهاReflexالتبول فعل منعكس (مركز بالنخاع الشوكي، وهذا يتم في الحيوان وفي الطفل الوليد كلما امتلأت المثانة بالبول وحيثما أتفق وفي أي مكان بالليل أو النهار، فالطفل الوليد يشبه الحيوان في عدم قدرته على التحكم، ولكن عندما يكبر تنمو فيه الأعصاب الموصلة التي تصل المراكز العليا في القشرة بمركز التبول السفلي، عندئذ يستطيع الطفل التحكم فتتم عملية التبول بطريقة إرادية فيبدأ بعد السنة الأولى في التحكم فيها نهارًا وبعد السنة الثانية التحكم فيها أيضًا بالليل.

2- الغضب انفعال يحدث مظهرًا معينًا في الإنسان والحيوان، فالقطة عندما تغضب مثلًا تشد أقدامها وترفع ذيلها وتتسع حدقتا عينيها، ويحدث للإنسان شيء شبيه بهذا عندما يغضب، والمسئول عن هذا المظهر لانفعال الغضب هو إحدى الغدد الصماء (وموجودة فوق الكلية) التي تفرز هرمونًا) وهو الذي يحدث هذه التغيرات الجسمية.Adrenalineخاصًا (الإدرنالين ويسيطر على هذه الغدة وغيرها من الغدد الصماء غدة أسفل المخ اسمها الغدة النخامية، وهذه الأخيرة تتصل بالمخ بواسطة أعصاب وتقع تحت تأثير المراكز العصبية والقشرة، وعن طريقها يستطيع الإنسان أن يتحكم إلي حد بعيد في باقي الغدد الصماء. وتعتبر الغدة النخامية بالنسبة لباقي الغدد بمثابة "المايسترو" الذي يقود الفرقة الموسيقية ويوجهها وينظمها فالإنسان يستطيع أن يتحكم في انفعال الغضب عن طريق مراكزه العليا في المخ. وهو مطالب إذن أن ينفذ وصية الله "اغضبوا ولا تخطئوا، ولا تغرب الشمس على غيظكم" (اف٤: ٢٦). ولا يستطيع الإنسان أن يقول إني لا أقدر أن أتحكم في غضبي لأن الله ميزه عن الحيوانات بإمكانية التحكم في غرائزه.

3- الشهوة الجنسية: هي انفعال الغريزة الجنسية وهي تحدث نتيجة إفرازات الهرمونات الجنسية من الخصيتين في الذكر أو المبيضين في الأنثى. ويتحكم في هذا الغدة النخامية التي تؤثر على كل الغدد بواسطة إفرازات خاصة نوعية تفرزها لتنبيه كل غدة عند اللزوم وبالقدر المطلوب فإذا

سمح إنسان لنفسه أن ينبه مراكزه العصبية بالمؤثرات الجنسية الخارجية التي تؤثر على الحواس، تنبهت الغدة النخامية وأفرزت إفرازاتها الخاصة بالجنس لتنبه الخصيتين أو المبيضين فتفرز في الدم الهرمونات الجنسية التي تحدث توردًا للدم في الأعضاء التناسلية مما ينتج عنه انفعال الشهوة. وعن هذا الطريق يستطيع الإنسان أن يتحكم إلي حد بعيد في انفعال الشهوة.

ويمكننا تشبيه قدرة المراكز العليا في قشرة المخ على التحكم في المراكز السفلى بغرفة العمليات في القيادة العليا للقوات المسلحة التي تتحكم في توجيه الكتائب والألوية، كما يشبه العقل في تحكمه في الغرائز بفارس يركب حصانًا جامحًا ولكن الفارس يستطيع من خلال اللجام أن يكبح جماحه ويسير بجواده نحو هدفه في سلام إلا طرحه الجواد أرضًا.
وإذا كان رجال علم النفس قالوا لنا إن الغرائز أو الدوافع البيولوجية لها ثلاث مقومات في الإنسان هي الإدراك والانفعال والنزوع بمعنى إن المخ يدرك فيحدث الانفعال ثم ينفذ الإنسان ما تتطلبه الغريزة أو قد يكبت الرغبة ولا ينفذها.. إذا كان هذا في الإنسان فيصبح مفتاح التحكم في الغريزة الجنسية عند الشاب هو العقل. فإذا كانت حواسه طاهرة كان فكره طاهرًا وإن كان فكرة طاهرًا فإن الانفعال لا يحدث إلا في المجرى الطبيعي الذي وضع من أجله وهكذا تكون الغريزة سائرة في وضعها السليم. فالصفة الأولى في الدافع الجنسي عند الإنسان إنه ليس مجرد فعل منعكس وإنما طاقة يمكن ضبطها وتوجيهها يتحكم فيها العقل وتسيطر عليه الإرادة... ويخطئ هنا الإباحيون الذين يقولون إن الجنس طاقة لا يمكن التحكم فيها وإن ضبطها والتسامي بها يضر الإنسان، على العكس سنرى إن الإباحية والكبت يؤذيان الإنسان في حياته ليست الجنسية فقط بل في كيانه ككل متكامل.

العواطف الراقية

والصفة الثانية في الدافع الجنسي أنه ليس مجرد إزالة التوتر العضوي وإنما هو مفعم بالعواطف الراقية. كما يلذ للخطيب أن يجوب المحلات التجارية بحثًا عن هدية لطيفة تروق لعين خطيبته! وكم تلذ للزوجة وقفتها في المنزل تعد أكلة معينة يفضلها زوجها! هذه العواطف المتبادلة هي التي تلف الطرفين في غلالة رقيقة تضمهما معًا؛ فتقترب النفسيتان ويتحدان، ويصبح تلقائيًا اقتراب الجسدين تعبيرًا عن الحب والشركة والالتزام الذي جمع الاثنين وجعلهما واحدًا.. لهذا يقول القديس مكسيموس المعترف إن الانفعال الروحي أولًا ثم الانفعال الجسدي.

وإن كان تناول الطعام إنسانيًا ليس مجرد استهلاك مواد لإطفاء انفعال الجوع، إنما هو وسيلة لمزيد من الشركة والحب والتعارف، فيجلس الأحباء حول المائدة ويأكلون بطريقة راقية، ويتبادلون الأحاديث التي تدعم محبتهم، ويكون الأكل هنا تعبيرًا عن سر من أسرار الحب الإنساني الذي لا تقاس لأعماقه حدود، كم بالأحرى الجنس الذي هو أكثر عمقًا في حياة الإنسان والذي يحاط بالاحترام والوقار، والذي من أجل الارتباط الزيجي وتحقيق اللقاء بين الاثنين يؤسّس عش الزوجية الجميل.. .. ويجلس الخطيبان يتفاهمان حول المستقبل ومبادئ الحياة التي يعتزمان أن يشتركا سويًا في الالتزام بها. حقًا إن الجنس إنسانيًا ليس مجرد التصاق جسدي، وإنما هو مشاعر حب صادق في القلبين تجد في اللقاء الجسدي تدعيمًا لها... ولعل هذا هو أحد الفوارق الجذرية بين الزواج والزنا.

إن العلاقة الزيجية لها بُعد داخلي أما الزنا فهو إزالة التوتر الجنسي بإحساس اللذة السطحية الجنونية التي تنعكس بعدها إلي بغضة بين الطرفين بدلًا من تعميق الحب. وأمامنا مثال أمنون وثامار في العهد القديم (٢صموئيل١٣). وهو الفارق أيضًا الذي يجعل الإنسان قادرًا أن يقدم طاقته الحيوية على مذبح البذل والعطاء والحب والتكريس كتقدمة طاهرة... الأمر الذي لا تستطيع أن تعمله الملائكة أو الخليقة غير الناطقة.

صفوة القول: أن الدافع الجنسي في الإنسان يهدف إلي تحقيق الشركة والوحدة وانصهار الاثنين في شركة "نحن" واختفاء الأنا. إن هذه الشركة هي الحل الحقيقي لمشكلة العزلة والفراغ الداخلي وهذا هو التفسير النفسي العميق لمعنى: أصنع له معينًا نظيره... إن الغريزة الجنسية ليست بيولوجية (حيوية) يتحكم فيها المثير والاستجابة وإنما تديرها وتتحكم فيها المراكز العليا في المخ التي تعطي للإرادة قوتها الإنسانية. إن الدافع الجنسي ليس بيولوجيًا فحسب وإنما هو مفعم بأرقي العواطف في مفهومه الإنساني وقد تسمو العواطف هذه إلي مستوى التكريس والبتولية المقدسة. إن الدافع الجنسي مرآة للشخصية وحصيلة لقواها المختلفة كما إن هذه القوى لها فعاليتها على هذه الغريزة الحيوية.

إنحرافات الدافع الجنسي عند الإنسان

يشبه الدافع الجنسي في الإنسان تيار النهر الذي يبدأ من المنبع ويستمر في سريانه حتى ينتهي إلي المصب، وإذا لم يعترض المجرى جنادل أو شلالات كانت مسيرته طبيعية هادئة. وإذ وضعت عليه السدود فأنها تحجز تدفق الماء وتعطل سلامة السريان... هكذا يرى رجال علم النفس أن الجنس يبدأ مع الإنسان منذ تكوينه، وعند ولادته، وفي سنينه الأولى. ويسمون الطاقة الحيوية هذه بالليبيدو Libido التي تغطي جسمه كله. فيجد الطفل لذة في أن يحتضنه أحد ويلامس جسده، كما تتركز المناطق الشبقية في الفم ومركز الإخراج. ثم ينمو الدافع فيتجه من مركزيه الذات إلي نفس الجنس وهذا ما تلحظه في تلاميذ المرحلة الابتدائية وأوائل الإعدادية عندما ينجذبون إلي رفقائهم من نفس النوع... وفي نهاية المرحلة الإعدادية وأوائل المرحلة الثانوية يتجه التيار ناحية الجنس الأخر وعندما يتثبت الاتجاه الأول يسمى الشذوذ الجنسي، ولكن كثيرًا ما يعجب الفتى بإحدى قريباته أو صديقات أخته، ثم يتحول هذا الإعجاب سريعًا إلي شخصية أخرى.

وهكذا يكون الجنس الأخر بصفة عامة مثيرًا له حتى تنتهي هذه المرحلة إلي الأحادية التي في البداية يكون اختيارها وفقًا لمعايير سطحية ولكن عند تمام نضج الدافع يكون الاختيار صادقًا، وتثبت الأيام أصالة ونقاوة العلاقة وتبدأ مرحلة الخطوبة والإعداد للزواج الصالح.

إن مرحلة الكفاح لبناء عش الزوجية يكتنفها الحب الطاهر والفرح القلبي بالاختيار والإلهام السليم مع التعب والعناء المشترك والجهد المضني في الصراع لتحقيق متطلبات الحياة الزوجية السعيدة. ونحن ننصح الفتيان والفتيات ألا يتعجلوا ويصدروا أحكامًا سريعة ويتصورون أنهم قادرون على اختيار الشريك الآخر وهم بعد في ريعان الصبا، لأن التيار نفسه لا يكون قد وصل إلي هذه المرحلة، والغريزة قد لا تكون نضجت نضوجًا سليمًا... والشاب المتسرع الذي يختار بطريقة سطحية أو شهوانية أو باندفاع وتهور كثيرًا ما تكون زيجته فاشلة إذ سرعان ما تنتهي الأيام الأولى، ويكتشف كل طرف إنه لم يكن للآخر، وإنه لم يكن مدققًا وموفقًا في الاختيار وإنه ليس ثمة أتفاق وتقارب فكري ونفسي وروحي... فالانحراف الأول Deviation هو الوقوف على مرحلة دون استكمال النمو الطبيعي للغريزة وهذا ما يسمونه التثبيت أو النكوص أي الوقوف عند مرحلة دون تجاوزها إلي النضج الحقيقي الذي تتحدد معالمه في الاختيار السوي للشريك أو التكريس البتولي الطاهر.

العادة الجنسية

وثمة انحراف آخر هو تركيز الفتى أو الفتاة الشهوة نحو إثارة الأعضاء التناسلية حتى تحدث الإثارة بعيدًا عن مرماها الأصيل وهو الزواج الناضج الملتزم. فإذا تحول هذا الفعل إلي عادة متأصلة – سواء قبل البلوغ أو بعده – فإنها تحرف تيار المجرى عن وضعه الأصيل إلي لذة غير طبيعية وناقصة لا تروي النفس، كما إنها كثيرًا ما تركز ممارسها في عشق ذاته (نرجسيته) Narcissism وتزيده أحيانًا انطواء... الأمر الذي يدفعه إلي الممارسة. وهكذا يدخل الشاب أو الشابة الصغيرة في الحلقة المفرغة أو الدوامة التي يحسن الابتعاد عنها منذ البداية.

وتتعدد أسباب ممارسة هذه العادة، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

(١) أسباب تاريخية: كأن يكون قد حدث العبث بالأعضاء في الصغر ولم يجد من ينبهه إلي خطورة العبث ويحول اهتمامه إلي موضوعات أخرى تشبع نفسه.

(٢) أسباب جسمية: كحدوث احتكاكات تثير الأعضاء، أو بسبب سوء وضع الرقاد أثناء النوم (وأفضل الأوضاع هو الرقاد على أحد الجانبين)، أو لكثرة التهام الأطعمة الدسمة بشراهة مما يثير الشهوة بلا داع أو لحدوث بعض الالتهابات في الأعضاء وخاصة بسبب الأمراض المستوطنة في الريف... لهذا يلزم الإنسان التأكد من سلامة أعضائه صحيًا، واعتدال حياته في كل العمليات البيولوجية.

(٣) أسباب نفسية: مثل العطف الشديد على الذات أو احتقار الإنسان الشديد لنفسه أو التدليل في التربية، أو القسوة العنيفة في المعاملة المنزلية أو المدرسية أو كليهما، أو الحرمان من العطف الوالدي وجدب الحنان والحب في الطفولة الأولى خاصة، أو الخجل الشديد أو الخوف الزائد بسبب الإرهاب وعدم تحمل أي مسئولية.

لهذا تكثر هذه الظاهرة في دور الإيواء مثل الملاجئ ودور المشوهين والمعوقين وطلبة المدارس الداخلية، والقاطنين في المعسكرات بعيدًا عن الحياة العائلية ومصادر الشبع العاطفي.

(٤) أسباب اجتماعية: مثل المناظر المُعثِرة والملامسات واحتكاك الأجساد في المواصلات العامة أو في المنزل أو الأفلام الهابطة وخاصة بعد انتشار الفيديو والتلفزيون.

(٥) أسباب فكرية: وهي عدم طهارة الفكر وتلويثه بالصور الذهنية الشهوانية من خلال عدم حراسة الحواس وعدم عفة السمع والذاكرة واللمس. ونحن ننصح الفتى أن يهتم بطهارة فكره وحواسه ونقاوة قلبه لأنه منه مخارج الحياة، والابتعاد عن كافة المثيرات الشهوانية إذ يقول الكتاب "اهرب لحياتك"، "احفظ نفسك طاهرًا"، "أما الشهوات الشبابية فأهرب منها وأتبع البر والإيمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقي" (٢تي٢: ٢٢)، كما يقول: كونوا قديسين كما إن أباكم الذي في السماوات هو أيضًا قدوس؛ وبدون القداسة لن يعاين أحد الرب... لهذا يلزم التدقيق في اختيار الصديق والصورة الذهنية والموقف، وسوف نزيد هذا الجانب إيضاحًا عند الحديث عن حياة الطهارة.

الزنى

هناك انحراف جنسي آخر هو الزنا.. الخطيئة التي يبغضها الرب، والتي تهين الجسد، وتدنس الهيكل المقدس... بسببها أحرق الرب سدوم وعمورة، وأغرق العالم بالطوفان أيام نوح البار، وأمات ثماني عشر ألفًا من اليهود في برية سيناء، وهيج عليهم الحيات والعقارب وهذه الأمور كلها حدثت لنا مثالًا وإنذارًا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور... ونقصد بالزنا ممارسة الجنس خارج الزواج..

هكذا يقلب الزنا النظام الذي رتبه الله، وهو خطر شديد على سعادة الزوجين والأسرة معًا.. ويبيد ما أعده الله من السعادة لهما ولأولادهما، ويفسد النموذج المبارك الذي وضعه الرب في الجنة عندما خلق حواء لأدم وأوضح أن الرجل تكون له زوجته الواحدة، والزوجة لها بعلها الواحد، وما أزوجه الله لا يفرقه الإنسان.. .. أي لا يدخل في الوحدة ثالث يفصم عُري الشركة ويدنس التعهد والالتزام المبارك. وكثيرًا ما تبدأ هذه الخطيئة بالنظرة أولًا ثم بالاشتهاء الداخلي، ثم بالتهاون مع النفس والسماح بتردد الفكر الدنس، وأخيرًا يهيئ العدو الملامسات المناسبة فيحدث السقوط. يقول سليمان الحكيم عن هذه الخطيئة "لأنه بسبب امرأة زانية يفتقر المرء إلي رغيف الخبز، وامرأة رجل أخر تقتنص النفس الكريمة.. أيأخذ إنسان نارًا في حضنه ولا تحترق ثيابه، أو يمشي إنسان على الجمر ولا تكتوي رجلاه.. هكذا من يدخل على امرأة صاحبه كل من يمسها لا يكون بريئًا" (أم٦: ٢٦-٢٩).

والعدو يزين للشاب غير المتزوج الخطيئة ويغريه ويحاول أن يقنعه إنها تشبعه وتمتعه وتسره، ولكن الحقيقة إن الاتصال الجسدي بدون الحب المقدس المدشن بالالتزام الزوجي لا يحل مشكلة العزلة والفراغ الداخلي، ولا يقدم للإنسان متعة، وإنما يقدم لذة في لحظة سرعان ما تنطفئ وتترك الحسرة والندم واليأس والحزن المرير والشعور بالهزيمة وتأنيب الضمير بإفساد الهيكلين وإعثار الآخر ومكتوب "ويل لِمَنْ تأتي منه العثرات". ويكفينا مثالًا على ذلك داود النبي الذي كان في قمة السعادة ونقاوة القلب حتى أن الله قال عنه "وجدت قلب داود عبدي حسب قلبي".. داود هذا الذي وصل إلي قمة الروحانية وعمق التسبيح بالمزامير الخالدة يتهاون مع نفسه ويترك لجسده العنان فينهار وتتحول حياته غمًا وحزنًا، وبدموع أخذ يبلل فراشه طوال الليل ولم يفارق السيف بيته، وكما صنع مع امرأة أوريا الحثي هكذا أمر الرب أن يصُنع مع أولاده في حياته. لنحترس لأنفسنا... فالكتاب ينبهنا أن نصحو ونسهر ونصلي كي لا نقع في تجربة. ولكن إن حدث السقوط – لا قدر الله – فلننهض سريعًا بالتوبة والصلاة والتذلل أمام الله والثقة في مراحمه الواسعة قائلين "لا تشمتي بي يا عدوتي لأني إن سقطت أقوم".

الكبت | القمع | الوسوسة

عندما قال الرب يسوع: من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه... إنما أكد على نقاوة القلب وطهارة الفكر ونظافة الداخل. فالعفة الجنسية مسيحيًا ليست مجرد الامتناع عن الزنا والعادات الجنسية، وإنما تتعداها إلي طهارة الفكر والمشاعر... فقد يحدث أن شابًا يمتلئ خياله بالصور الجنسية، ويتوق إلي تحقيق الاتصال الجنسي إلا إنه لا يجرؤ على ذلك بسبب الظروف الاجتماعية والتقاليد العائلية، أو بدافع الخجل أو خوفًا من عقاب المسئولين عنه أو فقدان سمعته... هذا كله دون اقتناع بأهمية حياة الطهارة وجمالها ودون أدنى إرادة للاستفادة من الإمكانيات الروحية الممنوحة بالمسيح لاقتناء هذه الفضيلة.

مثل هذا الشاب الذي يعاني من الكبت، وليس طاهرًا بمعنى الكلمة. والكبت الجنسي عملية لا شعورية، فيها يشعر الإنسان بثقل الدافع الجنسي وتضارب الدوافع والميول إزاءه فهناك رغبة بالميل نحو الآداب وهناك رغبة بالمقاومة واشتعال للسقوط.. إزاء هذا الصراع الداخلي يحدث ما يسمى بالكبت.. فالكبت إذن هو اشتعال الفكر والوجدان بالنجاسة وإرادة داخلية متجهة نحو السقوط مع عدم القدرة على تحقيق المطلوب لظروف خارجية.. مثل هذا يلجأ إلي نوع من الرياء لأنه كثيرًا ما يتظاهر المكبوت بغيرته الدينية أو الخلقية ويهاجم بشدة الساقطين ويقسو على الناس في أحكامه وينتقد كل ما هو جنسي عند الآخرين..

إن المسيحي الحقيقي هو من يتصالح مع نفسه ومبادئه وأهدافه ويهتم بطهارة الداخل كما الخارج أيضًا، ويرفض كل نفاق ورياء في حياته عامة، وفي حياة العفة بصفة خاصة. وعندما يلحظ بادرة انحراف يسرع إلي التوبة والاعتراف لتطهير الشعور واللاشعور من كل مل يدنس الهيكل.. يلزمنا أن نوضح إذن الفارق بين الضبط والكبت، الضبط عملية شعورية واعية هادفة إيجابية، أما الكبت فهو عملية لا شعورية منقسمة مضطربة... الذي يضبط نفسه حريص على نقاوة قلبه لسكنى المسيح. مقتنع تمامًا بأهمية الطهارة وسموها ومقتنع أيضًا إنه بقوة المسيح يستطيع أن يحصل عليها. هذا لا يمنع أن نزواته وميوله تظهر أحيانا وتميل إلي الانحراف، ولكنه بإرادته الحرة يرفضها، فهو لا يقع فريسة الضعف بل يبقى فيه الرجاء كمرساة للنجاة.. والذي يؤمن بالذي يبرر الفاجر يحسب له إيمانه برًا.. وقد يتخذ الانحراف صورة الوسوسة، فالفتاة أو الفتى الذي يخاف من كل ما هو جنسي خوفًا سلبيًا، ويتشكك في نفسه من كل نظرة أو تصرف دون أن يكون في سلوكه شئ يستدعي هذه الوسوسة، إنما هو يعاني انحرافًا، ويفيده هنا الإشراف الروحي الإيجابي، والثقة في نعمة الله ومراحمه الواسعة، ويكفيه أن يحترس من العثرة إذ يقول الكتاب "طوبى لمن لا يدين نفسه فيما يستحسنه"، وهذا ما نقوله أيضًا لأولئك الذين تسيطر عليهم عقدة الذنب بسبب ذكريات قديمة أخطأوا فيها دون فهم. أو أحداث شوهت مفهوم الجنس في أذهانهم بسبب أخطاء آخرين تجاههم ولم يكن لهم فيها دور إيجابي.

رابعًا: حياة الطهارة

معنى الطهارة

ما أعظم فضيلة الطهارة وما أبهاها وما أعجبها..
هي فضيلة السمائيين والروحانيين. هي حياة البتوليين والقديسين الذين أحبوا العريس السماوي. هي قوة مشتعلة ونضارة طبيعية، وجمال ملوكي، ونصر باهر، وتهليل الصديقين. هي نقاوة القلب التي بها يعاين المؤمنون وجه الله.
هي النفس التي يستريح لها الرب ويكشف أمامها أسراره المجيدة. الطهارة في المسيحية أوسع معنى من العفة، فالعفة تتناول طهارة الأعضاء الجنسية وسلوك الغريزة في مجراها الطبيعي دون انحراف، أما الطهارة فهي الفضيلة التي تشمل قداسة الفكر وطهارة المشاعر وعفة السلوك. فالإنسان الطاهر طاهر في حواسه وفي خلجات قلبه وفي أقوال فمه وفي نظرات عينيه وفي ملمسه وملبسه وأحاديثه وكل مل يتناول حياته الباطنية والخارجية معًا.
والطهارة هي فضيلة مسيحية من عمل الروح القدس في المؤمن ولكنها تحتاج إلي جهاد وسهر ويقظة قلب. نحن لا نستطيع أن نجعل أنفسنا أطهارًا ولكننا نستطيع أن نجاهد لكي نحفظ طهارتنا التي منحنا إياها الرب يسوع باستحقاقات صليبه وعمل نعمته وفعل روحه القدوس. والكنيسة في كل صلاة ترفعها في الساعة الثالثة تقول للروح القدس طهرنا من دنس الجسد والروح وانقلنا إلي سيرة روحانية لكي نسعى بالروح ولا نكمل شهوة الجسد، ونخاطب الرب يسوع قائلًا: "نسألك أن تجدده في أحشائنا يا ربنا يسوع المسيح ابن الله الكلمة. روحًا مستقيمًا ومحييًا روح النبوة والعفة، روح القداسة والعدالة والسلطة أيها القادر على كل شيء لأنك أنت هو ضياء نفوسنا".
وكما كان الله ينزل نارًا من السماء على الذبيحة كعلامة لقبولها، هكذا يعمل الروح القدس عندما يقبل جهاد الشاب الضعيف إذ يسكب عليه لهيبًا مقدسًا يطهره من الدنس ويضرم قلبه بلواعج الحب الإلهي الذي يشبع نفسه ويملأ فراغه الداخلي ويحل مشكلة العزلة والملل والسأم، ويغمر قلبه بندى الروح الرطب فتنطفئ نيران الشهوة وتسكن حركات الجسد وتهدأ الأعضاء وتمتلئ النفس فرحًا وسلامًا ونعيمًا.. الطهارة هي عندما تتعامل مع الجنس الأخر فإنك تتعامل معهم كأخوة أحباء باحترام ونقاء دون إزالة للكلفة أو خدش للحياء وإنما بود وإعزاز كأعضاء معك في جسد المسيح أو في أسرة الإنسانية.
ولكن إذا شعرت أن شخصًا منهم قد سرق اهتمامك وتفكيرك وخيالاتك حينئذ بنضج ووعي يكون لديك إمكانية الضبط لعواطفك واتخاذ ما تراه مناسبًا لتهدئة هذه المشاعر لأنك مقتنع أن هذا هو بداية الطريق المؤدي للزواج الذي أنت غير مهيأ له الآن. إنك تعرف قدر نفسك جيدًا. والطهارة هي النظرة المقدسة للجسد سواء جسدك أو جسد الآخر. فالطاهر هو الذي ينظر إلي كل أعضائه بالتكريم كمكان يسكن فيه روح الله. إنه لا يستغرق في الاستهواء بالجمال الجسدي للآخر لأنه يعرف أن الجمال باطل والحسن غش كما يقول سليمان الحكيم والجمال الحقيقي أعمق بكثير من تناسق الأعضاء والألوان... إنه يقدر الجمال حقًا ولكنه لا يشتهيه

أي لا يريد أن يمتلكه ويستهلكه بل إنه يقيم الآخرين كشخصيات لا كمجرد أجساد. فالجسد عنده هو الغلاف الخارجي ولكن الذي يشده بالأكثر هو ما يحويه هذا الغلاف من طباع مفاهيم وقامة روحية وفكر وإرادة وشخصية.. الطهارة أيضًا هي الاستمتاع الإيجابي بطاقة الحب فيوجهها الله للعبادة والتسبيح وبالخدمة وحياة الشركة.. إنه لا يحتقر الجنس بكافة صوره ولا يتقزز منه سواء ما يختص بالحياة الزوجية أو النظرة السليمة لأعضاء الجسد.

لماذا أحيا طاهرًا؟ | فوائد حياة الطهارة

قد تسأل يا بني لماذا أحيا طاهرًا بينما كثيرًا من زملائي يعبثون ويملأون الدنيا ضحكًا ونكاتًا بذيئة ويتهامسون على النواصي بأحاديث وخبرات جنسية دنسة ويتبادلون القصص والمغامرات صادقة كانت أم كاذبة ملقين لأعينهم العنان للنظر إلي أجساد العابرات وممارسين كل عادة وحركة تعطيهم لذة، ألا يعتبروننني غشيمًا جاهلًا متخلفًا عندما لا أواكبهم المسير وأرفض المعاشرة ومتابعة الأحاديث والسلوك؟ الواقع إن القضية مصيرية... وهي ليست مجرد كلام. هي قضية حياة أو موت، أبدية أو هلاك، إيمان أو انحلال، قداسة أو استهزاء؛ تمايز وشهادة أو انجراف في التيار.

ولندرس فوائد حياة الطهارة باختصار:
١. الطهارة متطلب روحي
٢. الطهارة متطلب إنساني
٣. الطهارة متطلب اجتماعي

الطهارة متطلب روحي

يؤمن الشاب المسيحي أن الرب يسوع قد قدس الطبيعة الإنسانية عندما اتحد بها وصار ملتزما بها وراعيا لها ومدبرا لخلاصها وعندما صعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه احتفظ بجسده الذي أخذه من الروح القدس والعذراء القديسة مريم وهكذا دخلت الطبيعة الإنسانية في أعماق اللاهوت كما أصبح الله في أعماق الإنسان لقد أصبح الإنسان المختوم بالروح القدس في سر الميرون مكرسًا للرب وجسد الإنسان المعمد بالماء والروح قد صار هيكلا للروح القدس ومسكنا للرب وعضوا في الكنيسة التي هي جسده السري..

وفى هذا يقول الرسول بولس: "ألستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وإنكم لستم لأنفسكم لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم وفى أرواحكم التي هي من الله" (١كو٦: ١٩-٢٠). وفى موضع آخر يقول "ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء للمسيح، أفآخُذ أعضاء المسيح واجعلها أعضاء زانية؟ حاشا" (١كو١٥:٦). وإزاء كرامة أجسادنا إلى هذه الدرجة يناشد الرسول أهل رومية قائلا أسألكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية.. ولا تُشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة)، (رو١٢:١-٢) ويقول الرسول بولس للمؤمنين في رومية عن تقديس أجسادهم "لنسلك بلياقة كما بالنهار، لا بالبطر والسكر، لا بالمضاجع والعهر، لا بالخصام والحسد، بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيرًا للجسد لأجل الشهوات" (رو١٣:٢-١٤). فالشاب المسيحي الذي أدرك قيمة كرامة جسده يحرص على أن يلبس الرب يسوع في الصلاة والتناول من الأسرار المقدسة ولا يشاكل هذا الدهر ولا يسلك في طريق الأشرار وفى مجلس المستهزئين لم يجلس لأن ذهنه قد استنار وحياته قد تجددت وأصبح حريصًا على أن يرضى الرب في طرقه ويحفظ الوصية عن حب لذاك الذي مات لأجله وقام... فهل نحن نشابه أهل العالم في أهدافهم وطرقهم وألفاظهم وسلوكهم؟ أم إننا قد صرنا خليقة جديدة في الداخل والخارج معا؟!

الطهارة متطلب إنساني

يوضح لنا الكتاب المقدس إن الإنسان خلق على صورة الله ومثاله وهذه الصورة البهية قد تجسد المسيح ليعيدها إلينا بعد أن تشوهت بخطية أدم... فالشاب المسيحي الذي يحيا طاهرًا لا يحقق ما تتطلبه الوصية فقط وإنما يحقق حياته هو أولًا.. يصبح الإنسان كما يريده الرب. يحرص على أن تظهر هذه الصورة في حياته ويرفض أن يطمسها بالحياة الشهوانية والتصرفات الجسدانية. ويقول رجال علم النفس أن الشاب الطاهر تحيا غرائزه وتنمو في انسجام واتفاق وتكامل بعكس الشاب الشهواني إذ يسيطر عليه الانهماك في الملذات الجنسية، الأمر الذي يجعل بقية الدوافع في خلل وارتباك. فالطهارة متطلب نفسي. لهذا نرى الشاب الطاهر حقيقة الذي لا يعاني كبتًا أو قهرًا يحيا في سلام ونضارة وفرح وسعادة تخلو نفسيته من العقد النفسية والهموم والأحزان وتأنيب الضمير وأوجاع النفس المختلفة. إن اللذة تقدم كطعم، ولكن هل هذه اللذة التي تؤدي إلي الشبع الكامل والشعور بالاستقرار النفسي الحقيقي؟! تأكد أن الله لا يريد لك سوى سعادتك وهو لم يخلق الجنس ليعذبك به وإنما ليستخدم في مجراه الإنساني السوي فتتمتع بكل طاقتك. فلا تحاول أن تستعمل أجهزتك بطريقة غير تلك المخلوقة من أجلها، حقًا إن حياة الطهارة تؤدي إلي السعادة النفسية فهي متطلب نفسي وإنساني كما هي وصية إلهية وفضيلة روحية، والطهارة تحمي الإنسان من الأمراض الجنسية وتحفظ نضارة الشبوبية، ولذلك تجد وجه الشاب الطاهر يختلف تمامًا عن وجه الساقط في بالوعة الشهوات الجنسية... ورغم تقدم الطب في معالجة الأمراض لكن مازالت للنجاسة ضحايا كثيرة مثل أمراض الزهري والسيلان، وإن أهمل علاجهم تكون عواقبهما وخيمة.

الطهارة متطلب اجتماعي

يدعي الشبان الشهوانيون أن الناس تقبل الإباحي وتقدره وتعتبره شخصية قادرة على التكيف مع المجتمع، وهذا ادعاء باطل لأنه على قدر ما تمتدح "الشلة" الشاب الإباحي إلا أنهم في أعماقهم لا يحترمونه، ويفضلون الشخص المؤدب الذي على خلق كريم. والناس لا تثق في المستهتر والإباحي، بل تخاف منه وتراقبه ولا تطمئن على أعراض الناس منه، لأنه ذئب مفترس اعتاد الانقضاض لأجل طغيان الشهوة. فالعفة متطلب اجتماعي على قدر ما هي متطلب روحي ونفسي وإنساني. وفي مجال الأسرة لا يثق الوالدان إلا في الشاب الطاهر؛ لأنه إذ قد غلب ذاته، يقدِر أن يبذل نفسه لأجل الآخرين، بعكس الشهواني الذي تجده أنانيًا لا يسعى إلا لمصلحته الخاصة فقط.

وفي مجال الحياة الدراسية تعطي الطهارة نقاءً للفكر وصفاء للذهن وتركيزًا للذاكرة وهذه أسلحة هامة في التحصيل العلمي والتفوق الدراسي. ولكن ليس معنى هذا عن كل الشهوانيين يرسبون وكل الأطهار يتفوقون علميًا، لأن هناك عوامل أخرى تتدخل في التحصيل والدراسة العلمية، منها الذكاء الوراثي والقدرات العقلية ومدى قابلية الشاب لنوع الدراسة التي تخصص فيها. صفوة القول أن حياة الطهارة والتعفف الجنسي التزام مسيحي وانسجام واتساق للأجهزة النفسية وحماية وصون لصحة الأبدان، ثم هي أيضًا متطلب اجتماعي على أعلى مستوى... العالم اليوم يحتاج إلي القدوة العملية... الناس متعطشة أن ترى شبابًا أطهارًا في وسط جيل ملتو ومعوج، وفي زمان أيام شريرة تقترب سماتها من أواخر الدهور.

كيف أحيا طاهر؟

هذا السؤال الذي يطرح نفسه بشدة... كيف يمكن للشاب المسيحي أن يحفظ عفته وطهارة جسده ونقاوة فكرة وقلبه، والجو العام المحيط به ملوث بكل ما هو مثير للنجاسة ومشجع للسقوط؟ الإجابة هي: بدوني لا تقدروا أن تفعلوا شيئًا... أسألوا تعطوا. أطلبوا تجدوا. أقرعوا يفتح لكم... أرسل لكم الروح القدس المعزي... وهذا يأخذ مما لي ويخبركم... فبادئ ذي بدء إن حياة المؤمن معجزة، وبدون المعجزة لا يمكن تفسير الحياة المسيحية الطاهرة الحقة... الله وحده هو القادر أن يصنع المعجزة، ولكن للذين يطلبونه من كل قلوبهم. والروح القدس وحده هو الذي يمنح القوة، ويعطي الإلهام، ويهّون المعاناة، ويسند في الضيق، ويحمي وقت التجربة، ويقيم ويعزي ساعة السقوط. من هذا المنطلق تبدو أهمية الحياة الروحية... إن يوحنا الدرجي يقول "العفة هي مقابلة عشق بعشق" أعني مواجهة العشق الجسدي بالحب الإلهي، فأولئك الذين يشبعون، ويتعزون بعمل النعمة هم وحدهم الذين يجدون للعزلة والفراغ حلًا وللشهوة سموًا وعلوًا.

خامسًا: مقومات الحياة الداخلية وعلاقتها بحياة الطهارة والتعفف

الحياة الجديدة

ولنعط أضواء على مقومات الحياة الداخلية وعلاقتها بحياة الطهارة والتعفف:

1- الحياة الجديدة:

لا منفعة أن توضع رقعة جديدة على ثوب قديم، ولا فائدة من جهود تبذل والقلب منقسم؛ والنفس ميالة للشهوة واتجاه الحياة الداخلي منجذب نحو العالم والأشياء التي في العالم، أما الذين قدموا توبة صادقة فهؤلاء تحدث في قلوبهم ختانه تقطع غرلة محبة العالم وشهواته، إذ يقول الكتاب "هوذا الكل قد صار جديدًا"، وفي موضع آخر يقول "تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة".

بدون التوبة بمعناها العميق تظل الحياة في صراع، والقلب في انقسام، والسقوط والقيام متكرر كل يوم، معطيًا للعدو الشماتة وزرع روح اليأس والانهزام. أما العزم الصادق على الحياة مع المسيح والجهاد الدءوب للحفاظ على النعمة المعطاة بالروح، فهذه هي وحدها التي تحمي الشاب من خطورة الانزلاق وهاوية السقوط. ليس معنى هذا أن الحرب ستنتهي، وليس معنى هذا أيضًا أن التجربة سوف لا تعرض، بل وأحيانًا تكون قاسية... ولكن الذي نعنيه هو أن القلب سيكره الخطيئة مهما عرضت، وسيرفضها مهما ثقلت وسينهض من الكبوة إذا النفس عثرت.

يشبه الآباء القديسون الفارق بين التائب وغير التائب بالحمل والخنزير، الحمل قد يعثر ولكن سرعان ما ينفض التراب ويقوم من كبوته ولا يطيق الوحل على فروته. تنعشه النظافة وتزيده صحة ووزنًا، أما الخنزير فحتى لو عطرته بالعطور الغالية فإنه يجري وراء المزبلة ليأكل منها ويتقلب في مراغة الحمأة... طوبى للشاب الذي لمست قلبه محبة المسيح، واكتوى فؤاده بلواعج الحب المقدس- إنه لا يطيق أن يدنس هيكله ولا يحتمل أن يغضب حبيبه مخالفًا وصيته...

سر التوبة

وتأتى بعد ذلك خطوة التوبة التي يسميها بعض الآباء المعمودية الثانية أو امتداد للمعمودية. التوبة والاعتراف إفصاح عن كراهية القلب للخطيئة، وإعلان عن الرغبة والعزم للسير وفقا للحياة الجديدة والتزام بالطريق الضيق... إنها تجعل الزناة بتوليين كما يقول الشيخ الروحاني.

إنها تلقى عبء المتاعب وثقل الضمير لتستريح النفس في أحضان الأبوة.. إنها ترك لكورة الخنازير بلا رجعة وعودة إلى الأحضان الحانية وتمتع بالشركة مع القديسين في مائدة العجل المسمن. إذا كان بعض الشباب لا يفيد من سر التوبة هذه الأيام فإن هذا يرجع إلى عدم فهم الاعتراف بمعناه السليم أو النظرة إلى الاعتراف على أنه راحة نفسية فقط وخلاص من عذاب الضمير، أو لأنه لا يوجد آباء اعتراف حاذقون كثيرون يعرفون كيف يقودون نفس التائب في الطريق بحكمة وإفراز وفطنة.. كما أنه يوجد بعض الشباب لا يهمه في الاعتراف إلا الحديث عن الخطيئة الجنسية دون أن يوضح أسباب السقوط ونوع الخيانة التي حدثت والفرص التي أعطتها النعمة للخلاص ولم يستفد منها ودون التركيز على الذات بعتوها وأنانيتها التي هي مصدر الداء لهذه الخطايا وغيرها كثير لنذكر أنه بجانب دنس الجسد يوجد دنس الروح وهذه كلها تحتاج إلى توبة واعتراف وطلب الروح ليخلصنا منها لنكون آنية مقدسة وهياكل طاهرة وأعضاء حية في الجسد المقدس لتنفيذ مقصد الآب السماوي.

الإفخارستيا

لأن الله يعلم ضعف ونقص البشرية وعجزها عن أن تعمل الصلاح بدونه، لهذا أعطانا جسده ودمه الأقدسين طعامًا روحيًا ومنًا سماويًّا وحياة أبدية وغفران لخطايا كل من يتناول منه نحن في الإفخارستيا نشترك مع الله في موته وقيامته، وكل من يثابر على التناول من المذبح المقدس ينال قوة لغلبة الذات والعالم والشيطان.

إنه الحياة الفائقة للطبيعة، وكل من يتناول منه تائبًا منسحقًا مؤمنًا بقوة هذه العطية يغلب نواميس الطبيعة، يعلو فوق غرائز الجسد وإلحاحاتها العنيفة، تدب فيه روح الأبدية وتهون معاناة الجهاد ويفرح بتعزيات الروح التي تغنيه عن الملذات والجسديات... إن سر الإفخارستيا هو العصارة الآتية من الكرمة للأغصان لتحييها وتقويها وتشددها وتخصبها وتنميها..

إشعياء النبي عندما مسته الجمرة الإلهية من على المذبح طهر في الحال واستحق أن ينطق النبوءة وأما نحن فتدخل أحشائنا هذه النار المقدسة لتطهرنا من كل دنس الجسد والروح، ولتلهب فينا مشاعر الحب الإلهي والغيرة المقدسة والسهر الروحاني واللهفة في انتظار مجيء الرب في يقظة نفس وأمانة قلب.

الصلاة بالروح

الصلاة هي خدمة الملائكة.. وكل من يصلى بالروح والحق تتغير حياته ويتروحَن. إنه يكون كالطائر المحلق في السماء لا تشده النوازع الجسدانية والأهواء الشهوانية. لهذا أوصانا الكتاب بأن نصلى بلا انقطاع (١تس٥: ١٧). وأن نصلي كل حين ولا نمِل (لو ١٨: ١).

فالصلاة المتواترة نعمة تقدس حياة الشباب وتجعله خليقة جديدة.. والصلاة تحمل مضمون الحوار مع روح التذلل فيها نشكو وهو يتعطف ويتحنَّن فيها نعرض معاناتنا في اقتناء العفة وهو يشير علينا بما يريح قلبنا ويهدئ نفوسنا ويهون معاناتنا ويقدس أجسادنا فتشبع النفس فرحا وسلاما وتهليلا... الصلاة حصنًا للمُجاهِدين، تسقط حصون الشر وأسلحته الملتهبة إنها قادرة أن تبطل شغب الجسم وحرارة الجسد.. إنها تسكب على حرارة الجسد ندى النعمة المرطب والملطف، فيحيا الشاب متجاوزا نوازع الغريزة متدعمًا بقوة الإرادة متعزيا بعمل النعمة فرحا بالرجاء حاملا خوذة الخلاص ودرع البر وترس الإيمان ومنطقة الحق. إنه يحمل المعجزة حيثما ذهب وأينما تحرك لأن يمين الرب تسانده.

فاعلية الإنجيل

الرب نفسه يقول "الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة".. الكلمة لها فاعلية "أنتم أنقياء بسبب الكلام الذي كلمتكم به" الكلمة تقدس الفكر والوجدان وأمضى من سيف ذي حدين، كلما تمثلناها تغير الحياة هدفا ومصيرا واتجاها.. كل الذين تمرسوا على طاعة الوصية عاشوا حياة العفة في سهولة ويسر.. المسيحي الحقيقي يصرخ في الصلاة والله يجيب ويتكلم في الكتاب المقدس والمؤمن المطيع يرهف السمع ويصغى بإنصات وخشوع لما يريده الله منه فيسرع لينفذ الوصية في حياته العملية شاهدا للحق في حياته الداخلية وبنيانه الروحي وفى حياته الخارجية وعلاقاته الاجتماعية إن تذوق حلاوة الكلمة يجعل شهوة الجسد مرة في أفواهنا وعلقما في حلقنا أن تعزيات الروح من خلال الكلمة تجعل التلذذات الحسية جهالة وهلاكا ولسعات أفاعي وحيات مهلكة حارقة. الصلة الخفية في المخدع بين الإنسان وإلهه هي سر الإيمان وأساس كل الفضائل وبغير الصلاة لا ننال فضيلة العفة والطهارة أما من يعاين الله في المخدع فهذا يعرف الحق، والحق يحرره من كل شهوات الجسد والعالم.. أنه يصبح مقدسا في الحق. والتسبيح هو أسمى أنواع الصلاة، إنه تمجيد وتكريم لاسم الله العظيم القدوس المبارك. إننا به نسمو على غرائزنا وتتسامَى طاقتنا العاطفية إلى الحب الكامل والهيام في شخص العريس السماوي.. لذلك فوقفات الشاب في الكنيسة لصلاة التسبحة تشبع المشاعر وتنقى الأفكار وتهذب الجسد وتشيع روح العبادة والجو الملائكي السماوي الذي يطرد الشياطين ويبعد الأفكار الشريرة ويحفظ الحياة طاهرة بلا دنس.

الصوم المقبول

الصوم علاجًا لمشكلة نهم البطن وتلذذ الحنجرة وتدعيم للإرادة الروحية لغلبة سيطرة أهواء الجسد.. الصوم رياضة روحية عظيمة يعطى فرصة للروح أن تنطلق في العبادة بلا عائق الصوم الانقطاعي مع الصلاة والحياة الروحية الحقة يجعل الجسد شفافا رقيقا ويخفف ارتباط الإنسان بالأرض ويوجه اهتماماته إلى الأشياء التي لا ترى به يدرك الإنسان ما قاله الرب على جبل التجربة "ليس بالخبز وحدة يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله" وبالانغماس في ملذات الطعام والشراب يصعب علينا إدراك خبز الحياة النازل من فوق الذي هو قوام الحياة الروحية الصوم تدريب على طاعة الله واختبار إماتة شهوات الذات، فيه خشوع وانسحاق وفيه زهد عن العالم وتوبة عن الخطايا... وكلما ارتبط الصوم بالصلاة والسجدات والتذلل أمام الله يصبح فعالا ولهيبا يحرق أشواق النجاسة والأفكار الشريرة والأعمال الهيولية. ويلزم أن يمارس الصوم باعتدال وإفراز وتدرج وتحت قيادة أب روحي ملهم حتى لا تختل وظائف الجسد، وأن يكون هزيلا غير ذي فاعلية في ضبط حركاته وحسن قيادته.

سادسًا: بعض التداريب الروحية الهامة

تدريب الحواس على الطهارة

تجنب يا أخي كل ما يعثر عينيك وأذنيك... وإذا وجدت صورة مُعثِرة ألقِها عنك جانِبًا، ولا تقرأ كتابًا به موضوعات نجسة. واحذر من كافة وسائل الإعلام التي تعرض صورًا غير طاهرة، لا تقف في الطرق وزوايا الشوارع متطلعا إلى المارة ولا تجلس في مقهى لهذا الغرض السيئ ولا تضع صورة خليعة بل ضع صور دينية وطبيعية جميلة، ولا تجعل نظرتك فاحصة تنقل إليك الشهوة الجنسية بل لتكن نظرتك عابرة سريعة، فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيرًا.
كرر في صلاتك على الدوام وأنت في الطريق أو مكان العمل أو المنزل قول داود "اردد عيني لئلا تعاينا الأباطيل"، وقول أيوب البار "عهدًا قطعت على عيني فكيف أتطلع إلى عذراء"...

تدريب محاربة الأفكار الشريرة

لا يكفى فقط أن تحفظ حواسك من الشر، بل جاهد أيضًا لمحاربة الأفكار الشريرة.
لا تدع الفرصة لأفكارك أن تسرح ولخيالك أن ينطلق في أجواء شريرة. فان كنت لا تذهب بقدميك للخطيئة فانتبه أيضًا لكي لا تذهب بفكرك إليها توقع أن تحاربك الأفكار الشريرة طالما نحن في العالم ولكن درب نفسك على أن تطردها بعمل النعمة وفعل الإرادة الصادقة التي يعمل فيها الروح القدس.
درب نفسك على تلاوة صلاة يسوع وبعض الترانيم المعزية فتهرب الأفكار النجسة كما تهرب الحشرات من النور الوهاج. وقد يعترض بعض أصدقائك قائلين:
أن الهروب جبن ولكن الواقع إن هذا الهروب هو منتهى الشجاعة والصلابة لأنه مواجهة جريئة للإنسان العتيق الفاسد الذي في الداخل - تذكر يوسف البار، وكيف هرب من امرأة فوطيفار فكان هروبه ملء الشجاعة والعفة.
وقد يقول قائل: إن جرعات بسيطة من الخطيئة تقينا شرها كمن يأخذ عدوى بسيطة من الميكروب ليكتسب مناعة ضد نفس الميكروب. ولكن هذه مغالطة لأن الخطية موت ولو في أبسط صورها.. ومن يسمح لنفسه بجرعة صغيرة من الشر ينم عن رغبة كامنة في نفسه للشهوات هذه الطريقة تضعف إرادته وتسهل له السقوط "إنها طرحت كثيرين قتلى وكل قتلاها أقوياء"(ام٧: ٢٦)

تدريب استخدام الطاقة فيما هو بناء

الطاقة الجنسية كالكهرباء أما أن تحرق وتدمر، أو تحرك وتشغل. إن الشاب الروحي يستخدم الغريزة فيما هو بناء، في كل عمل خلاق. إنه لا يدع نفسه فريسة لأوقات الفراغ، بل يحرص على أداء خدمات روحية واجتماعية ووطنية وترويحية تعود عليه وعلى الكنيسة والوطن بكل الخير والفائدة.

ومن الأمثلة على ذلك:

+ الخدمة في التربية الكنسية والأنشطة الدينية المتنوعة التي تتفق مع مواهب الشخص.

+ الهوايات مثل القراءة والموسيقى والفنون الجميلة والرحلات والمعسكرات وأشغال الإبرة والمعارض.

+ مشروعات خدمة البيئة مثل عمل حدائق وتنظيف ورصف الشوارع وخدمة الملاجئ ودور الإيواء.

+ القراءات الروحية والثقافية والفنية، وهناك مكتبات كثيرة في كل الكنائس لخدمة الشبيبة وفى مجال الجنس وحياة الطهارة نذكر مراجع كثيرة باللغة العربية مثل حياة العفاف، سر الحب، المسيحية والجسد، المسيحية والجنس، أسئلة حول العفة، إليك أيها الشاب، ومطبوعات كثيرة متدفقة تخدم هذه القضية سواء بطريق مباشر أو غير مباشر.

الرياضة الجسدية النافعة للطهارة

إن الرياضة تكسب الشاب فضائل عظمى، فهي تعلمه التعاون والتنافس الشريف وتحمل المشاق ومواجهة الهزيمة وعدم الاستسلام لها. إنها تكسب الجسم القوة والنشاط.. وتبعده عن الكسل والخمول والتراخي والترهل.. إنها تستنفذ طاقة كثيرة زائدة، وبذلك تخفف الضغط والتوتر الجنسي وتعطى الجسد نوع من الصفاء والاتزان، كما إنها تحمى الجسد من الكثير من الأمراض وتمنح الصحة والعافية وهذه تشجع الشاب على تقدير الصحة والنظافة والاتزان واحترام طاقة الجسد وعدم تبديدها في عادات رديئة أو شهوات منحرفة، على أنه يلزم أن نشير إلى إن هذه الرياضة الجسدية نافعة لقليل، ولكن التقوى نافعة لكل شيء إذ لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة (١تى٤: ٨).

إن جميع هذه التداريب إن لم تسندها النعمة وتؤازرها قوة الروح القدس وتمارسها إرادة طاهرة محبة للحق فإنها جميعا تعجز عن تحقيق حياة الطهارة المرجوة. يقول داود النبي "إن لم يبن الرب البيت باطلا تعب البناءون، وإن لم يحرس الرب المدينة باطلا سهر الحراس".